

المحاضرة السادسة: النقد البنوي التكويني

لقد تسلط الأنموذج اللغوي على الفكر البنوي النقدي في مجال الدراسة الأدبية حتى غدا الأدب في ظله شيئاً مجرداً من كل معنى إنساني قاتلاً لكل ذات إنسانية ساجناً لها، لذا حكم العديد من النقاد بالإخفاق على المقاربة البنوية التي جردت الأدب من نزعتة الإنسانية لتحكم عليه بالموت البطيء، إضافة إلى إقصائها التاريخ والواقع الاجتماعي وكل ما هو إيديولوجي كان في حقيقة الأمر المنتج الحقيقي للنص الأدبي والإبداع عموماً. من أجل ذلك أنشئت تيارات متعددة النزعات والتوجهات جاءت في إطار إعادة الأدب إلى دائرته الحقيقية والاعتراف بفاعلية المواقف التاريخية والإيديولوجية في النصوص الأدبية، ولعل أبرز هذه الاتجاهات تلك التي حاولت تطعيم البنوية بمفاهيم ماركسية، كالبنوية التكوينية التي مثلت تزاوجاً مثمراً بين الماركسية والبنوية، لذا سأحاول في هذه الوقفة العلمية التعرف على أهم الطروحات المنهجية لهذا التوجه النقدي الجديد من طريق رائده: لوسيان غولدمان .

01- مفهوم البنوية التكوينية:

يعود الفضل الكبير للوسيان غولدمان " Lucien Goldman " (1913 م - 1970 م) في صياغة النقد السوسولوجي؛ حيث عمل غولدمان جاهداً على إعادة بناء أفكار لوكاتش وتطويرها بما يتناسب ورؤيته الجديدة لعلاقة الأدب بالمجتمع، فعلى الرغم من تأثر غولدمان بالمعطيات النقدية والفلسفية السابقة عليه والمعاصرة له، كالمعطيات البنوية، والفلسفة لفرويد وجان بياجيه، وكذا التاريخية والاجتماعية إلا أنه استطاع أن يصنع التفرد والتميز من خلال صياغته لمنهج نقدي متكامل الملامح أطلق عليه اسم " Structuralisme génétique" والذي ترجم إلى عدة مصطلحات لعل أشهرها استعمالاً البنوية التكوينية والبنوية التوليدية، إنّه المنهج الذي لقي نقداً لاذعاً سمياً من أولئك البنويين الذي رفضوا فكرة تطعيم البنوية بمفاهيم اجتماعية، ومع ذلك بقي الصرح النقدي الذي بناه غولدمان عبر مزيج من كتاباته النقدية والفلسفية شامخاً مرناً فتح الأبواب أمام تلاميذ غولدمان ليعززوا مواطن القوة فيه ويقووا مناطق الضعف والخلل إن وجدت ولعل ما فعله "بييرزيم" خير دليل. أما عن أبرز أعماله التي ترجمت فكرة الفلسفي والنقدي تلك التي وصفها البعض بأنها <<أبحاث رائدة في فهم الإنتاج الثقافي فهما سوسولوجيا يبتعد عن الآلية التي طبعت أعمال بعض الدارسين الماركسيين السابقين >>

يمكنني ذكرها على التوالي:

- . مدخل إلى فلسفة كانط، (1948 م) .
- . العلوم الإنسانية والفلسفة (1952 م) .
- . راسين (1956 م) .

. الإله المختفي (1956م) .

. أبحاث جدلية (1959م) .

. من أجل علم اجتماع للرواية (1964م) .

. البنيات الذهنية والإبداع الثقافي (1970م) .

. الماركسية والعلوم الإنسانية (1970 م) .

إضافة الى مؤلفات أخرى ومنشورات نشرت في إطار نشاطه العلمي الجامعي وقد ترجمت أعماله إلى عدة لغات عالمية أذاعت صيت صاحبها ليظهر كأبرز ممثلي الفكر الماركسي إنَّ تحديد مفهوم البنيوية التكوينية، يأتي في إطار محاولة البحث عن ماهية هذه النظرية الجديدة في ميدان النقد الأدبي، وهل استطاعت حقا أن تجمع شظايا العديد من التيارات الفلسفية والتوجهات النقدية لتكسبها صفة الرؤية الشاملة والمنهج الدقيق؟ لذا كان لزاما أن أعرض بعض التعريفات التي جاءت لتحديد ماهية هذا التيار الجديد وتبين ملامحه .

أكد " لوسيان غولدمان " في أكثر من موضع أنّ البنيوية التكوينية نظرية نقدية متكاملة جاءت لتقارب النص الأدبي من وجهة تكوينية تتجاوز تلك الشكلية التي وقفت عندها البنيوية الصورية، وهو ما ذهب إليه يوسف الأنطاكي، حين أكد أن البنيوية التكوينية تنظر إلى النص: >> ككل يتميز بوحدة تماسكه الداخلي وإلى مكونات بنيته، لا على أنها منفصلة قائمة بذاتها، بل مرتبطة بمجمل البنية والدلالة والسياق العام، وهي بهذا الفحوى مفهوم دينامي وليس مجرد أنماط شكلية أو عدد من الوحدات البنيوية كالحال في إطار البنيوية الشكلية /.../ ، إذ هي بنية متغيرة ومتطورة، ترتبط بجماعة اجتماعية يمثلها المبدع في لحظة تاريخية محددة، ما يعني أنها قوة فعالة داخل هذه الجماعة، لما تحمله في طياتها من معان أو دلالات يستخلصها الباحث من خلال التماسك الداخلي الذي يقوم بوظيفة إبراز الدلالات الموضوعية في النص << وهي بهذا التصور نظرية شاملة وتكاملية استطاعت أن تُظهر بشكل جلي أن النص الأدبي بنية غير مستقلة بل هي بنية مرتبطة ببنية أكبر وهي بنية المجتمع .

كما أنّ البنيوية التكوينية من هذه الزاوية فلسفة خاصة تميزت بكونها تكاملية دياكتيكية، عبرت عن مستوى متقدم بالنسبة إلى الفلسفات والنظريات الأخرى في فهم طبيعة العلاقة بين الإبداع والواقع الاجتماعي.

أما تيري إيجلتون فيراها منهجا نقديا يحدد مفهومه بقوله: >> يطلق غولدمان على منهجه النقدي اسم " البنيوية التوليدية " ومن المهم أن نفهم المقصود بهذين المصطلحين، فالمنهج (بنيوي) لأنَّ اهتمامه ببنية المقولات التي تكشف عن رؤية خاصة للعالم يفوق اهتمامه بمضمون هذه الرؤية نفسها، وعلى نحو يمكن معه النظر إلى كاتبين مختلفين تماما من حيث الظاهر بوصفهما منتميين إلى بنية عقلية جماعية

واحدة والمنهج (توليدي) لأنه يركز على الكيفية التي تتولد بها هذه الأبنية العقلية على المستوى التاريخي، أي يركز . إذا شئنا الدقة . على العلاقة بين رؤية العالم والأوضاع التاريخية التي تولدها << .

وعليه فالبنوية التكوينية من هذا المنظور منهج يحاول إبراز وإيجاد العلاقة الأكيدة التي تربط بين العمل الأدبي بوصفه بنية فنية وعقلية وبين البنية الاجتماعية المرتبطة بحركة التاريخ؛ ما يعني بالضرورة أن النص الأدبي إنتاج جماعي لا فردي، تنتجها الذات الجماعية -الفوق فردية - وما الذات الفردية إلا عاملاً جزئياً في بناء العالم الإبداعي .ومن جهة أخرى ذهب غولدمان في أكثر من موضع من كتابه " العلوم الإنسانية والفلسفة " إلى اعتبار التصور البنيوي التكويني تحليلاً نفسياً في زوايا معينة تلتقي فيها البنيوية التكوينية مع التفسير النفسي للأدب:

أ- تؤكد البنيوية التكوينية والتحليل النفسي أن كل الأشياء تحتوي معنى على المستوى الإنساني، فكل السلوكات لها خاصية دالة سواء كانت واعية أو غير واعية .

ب - كل من الاتجاهين يدمجان الموضوع المدروس في كلية نسبية تسمى بنية .

ج - إن هذه البنيات الدلالية ليست ضارة ولكنها تندرج ضمن سيرورة تكوّن فلا يمكن أن تفهم وتفسّر خارج هذا التكوّن.

وبذلك استطاعت البنيوية التكوينية أن تدافع على مبدأ عدم إمكانية اختزال التاريخي والثقافي ولو جزئياً في الفرد أمام التفسيرات النفسية للأدب، هذه الأخيرة التي انتقدها غولدمان وبيّن مواضع النقص فيها حين قال: << فالتفسيرات التحليلية - النفسية - للأدب تقدم من بين أشياء أخرى، نقصين أساسيين: نقص كونها لم تفسر قط الأعمال المهمة في كليتها، حيث تفسر فقط بعض المعطيات الجزئية، وخاصة نقص كونها لم تستطع لأسباب منهجية أن تدقق الفرق بين المرضي والاستيتيقي، بين حلم أو هذيان معنوه والعمل العبقري>> . فالتحليل النفسي كما يبدو يختلف عن البنيوية التكوينية في كونه يقتصر على تحليل عنصر من عناصر العمل دون الإلمام بمجموعه، كما يركز في تحليله على الأعراض المرضية دون الالتفات إلى الخصوصيات الجمالية والأدبية للإبداع الأدبي.

02- المقولات الإجرائية للبنيوية التكوينية:

أ- رؤية العالم: "Vision du monde"

إنّ الرؤية للعالم - لدى غولدمان - محكومة بالفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها الأفراد فهي: << المجموع المعقد للأفكار والتطلعات والمشاعر التي تربط أعضاء جماعة إنسانية .- تكون في الغالب طبقة اجتماعية . وتضعهم في موقع التعارض مع مجموعات إنسانية أخرى >>، تتجلى هذه الرؤية على مستوى الإبداع الأدبي لا على أنّها من إبداع الكاتب الفرد، وإنّما بوصفها تكويناً معرفياً يتجاوز الإبداع، وكلما ازدادت

قدرات المبدع ازداد دنوه من رؤية العالم ونجح في تمثيله لها سواء كان واعيا لذلك أم غير واع، فعلى عاتق المبدع المتميز يقع >> نقل هذه الرؤية نحو أعلى قدر من الوعي مع الاحتفاظ لها، على مستوى المتخيل بتمثيل مبنين [على شكل بنية]>> لتكون رؤية العالم من هذا المنظور بمثابة: >>الحاسة الذهنية السابعة بعد الحدس التي يتوسلها الإنسان (العبقري في مجتمعه) في كشف حقيقة الواقع و جوهره و أبعاده فيجسدها عبر أعماله الإبداعية التي تعكس درجة عمق الرؤيا و إدراك الواقع اللذان يقوم عليهما موقف الإنسان من العالم>>. من هذا المنظور فإنّ العمل الفني ليس نتاجا فرديا، ولكنه نتاج يكشف الوعي الجماعي والمصالح والقيم الاجتماعية لطبقة اجتماعية، والأعمال العظيمة وحدها هي التي تعبر باتساقها عن رؤية للعالم ووعي جماعة ما، ووعي مثالي يمثل أقصى الوعي الممكن ووعي يوجد باطنا في العمل الفني يحلله ويعيد بناءه عالم اجتماع الأدب.

ب- الوعي الفعلي والوعي الممكن: " Conscience réelle et Conscience possible "

يرى غولدمان أن للوعي الاجتماعي مستويين الأول هو الوعي الواقع أو الحقيقي الكائن، والثاني هو الوعي الممكن، أما الوعي الواقع (الفعلي) عنده فهو ووعي ينتج عن مجموعة من العوائق والانحرافات التي تفرضها جهات الواقع المادي والعوامل الحقيقية التجريبية على الوعي الممكن، أما الوعي الممكن يكون عند كل طبقة على حده وهو عند طبقة ما لا يقوى على التعبير عن نفسه، نتيجة للضغوط الممارسة عليه من طرف المجموعات الأخرى، أو نتيجة للانحرافات التي تطرأ عليه جزاء عوامل الواقع الموضوعي الفاعلة فيه والتي تعوقه عند التحقق بصورة تامة، وحتى أقف عند علاقة الوعي الممكن بالوعي القائم سأقدم توضيحا أدق لما ذهب إليه غولدمان؛ حيث يرى أن الوعي القائم لدى الجماعة هو وعيهم الحاضر والكائن ؛ أي مجموع الأفكار والتصورات التي تملكها جماعة اجتماعية ما عن حياتها ونشاطاتها الاجتماعية والاقتصادية الفكرية والدينية، سواء في علاقاتها مع الطبيعة أو في علاقتها مع الجماعات الأخرى وهي تصورات ثابتة لدى الجماعة لا يمكن تصور الأخيرة دونها ؛ أي إنّ الوعي القائم هو وعي الطبقة الاجتماعية القائم بالحاضر على المستوى التجريبي، غير أنه ينشأ عن وعي كل فرد ومتضمن فيه، فهو محتوى في المجموعة، كما أنه ليس وعيا جامدا وثابتا بل هو وعي متحرك ومتطور في بنيات متغيرة ومتعاقبة كما هو شأن الطبقة التي يتشكل فيها.

ومع كل بنية تنشأ لهذا الوعي أبعاد مستقبلية تطويرية لها صلة بالطموحات الاجتماعية للطبقة، فيتولد من ذلك "الوعي الممكن"، بمعنى أن الوعي الممكن يجسد الأهداف والطموحات القصوى التي تهدف إليها الجماعة.

ومع أن هناك علاقة وثيقة بين الوعيين، يبقى الوعي الممكن هو: >> المحرك الفعال لفكر الجماعة وهو الذي يرسم مستقبلها، وعادة ما يكون في غير متناول الناس العاديين الذين يندمجون في الجماعة،

ولكنه فقط في متناول الأشخاص المميزين ذوي الثقافة العالية، كالفلاسفة والأدباء>>، ما يعني أنّ أشكال الوعي لدى طبقة اجتماعية محددة تعبر عن رؤيتها للعالم تتجسد في العمل الإبداعي من طريق محاولة نقل الوعي الواقع إلى الوعي الممكن وهو ما تتكفل به عادة فئة الأدباء المميزين في تلك الطبقة والذين يدركون جيدا أنّ الوعي الممكن للجماعة يرتبط بحاضرها كما يرسم مستقبلها الذي تطمح إليه .

يقول غولدمان في معرض حديثه عن الوعي الممكن وعلاقته بالإنتاج الأدبي - الرواية على وجه الخصوص - >>المبدع الأدبي ليس مجرد انعكاس لوعي جماعي حقيقي ومعطى، وإنما مآل نزعات خاصة بوعي هذه الجماعة أو تلك إلى مستوى من التماسك شديد العمق وهو وعي يجب تصوره بوصفه واقعا ديناميكيا، موجها نحو حالة ما من التوازن. وما يفصل في الأساس في هذا الميدان كما هو الأمر في الميادين الأخرى كافة، السوسيولوجيا الماركسية عن كل النزعات السوسيولوجية الوضعية، النسبية أو الانتقائية، هو أنّ السوسيولوجيا الماركسية ترى المفهوم الأساسي لا في الوعي الجماعي الحقيقي بل في المفهوم المبني للوعي الممكن الذي يسمح وحده بفهم الأول [أي الوعي الواقع] <<.

يربط غولدمان الرواية بالوعي الممكن لدى الفئة الاجتماعية التي تعبر عن نفسها بوساطة المبدع العظيم . حسب تعبير غولدمان وهو ما يعني أنّ كل دراسة أو مقارنة نقدية تربط بين العمل الإبداعي - الرواية - وبين الوعي الواقع لجماعة ما، إنما هي مقارنة نقدية تقود في طريق الخطأ، لأنّ الأدب يرتبط بطموحات وحاجات الجماعة، أي بالقيم المفقدة في الواقع المرفوض، لذا فإنّ الرواية لا بد أن تعكس مكونات الوعي الممكن لجماعة بشرية محددة.

يمكنني أن أستنتج مما سبق نقاطا مهمة أوجزها فيما يلي:

- ✓ تسهم العوامل الاجتماعية اللصيقة بالفئة الاجتماعية في تكوين الوعي الاجتماعي.
- ✓ للوعي الاجتماعي مستويان، وعي واقع، ووعي ممكن .
- ✓ الوعي الواقع (الفعلي) هو الوعي الذي يفرزه الواقع بكل معطياته في فترة زمنية معينة لفئة اجتماعية محددة تعارض غيرها من الفئات .
- ✓ الوعي الممكن هو أقصى ما تحتاجه وتطمح إليه فئة اجتماعية من أجل تحقيق الانسجام المطلوب مع الواقع المرفوض .
- ✓ الوعي الممكن يعبر عن الرؤية للعالم .
- ✓ يشترط غولدمان ما يطلق عليه "الانسجام" وهو لا يعني >>الانسجام المنطقي الذي يعني الترابط الرياضي للعناصر وإنما يدل على انسجام عناصر الوعي، وانسجام عناصر الوعي هو اتجاهها نحو التوحد مع الحقيقة على صعيدي الفكر والممارسة<<.

ج- البنية الدالة "Structure significative":

اشترط غولدمان الانسجام بوصفه عنصراً مهماً من عناصر الوعي وهو شرط من شروط تشكيله ما يعني أن انسجام عناصر الوعي داخل إبداع معين يجعل هذا الوعي بنية تحمل دلالة بالضرورة، إنها البنية التي تشكل لدى غولدمان النواة الدلالية للإبداعات، كما تعد أداة لفهم طبيعة تلك الأعمال، الفكرية والفنية للحكم عليها لذلك فإن مفهوم البنية الدلالية عنده لا يفترض فقط >> وحدة الأجزاء ضمن كلية والعلاقة الداخلية بين العناصر، بل يفترض في نفس الوقت الانتقال من رؤية سكونية إلى رؤية دينامية [أي متحركة]، أي وحدة النشأة مع الوظيفة بحيث تكون أمام عملية تشكل للبنيات متكاملة مع عملية تفككها، إن مفهوم البنية تشكل الأداة الرئيسية للبحث في أغلب الوقائع الماضية والحاضرة <<.

بناء على هذا يكتسب العمل الأدبي تجانسه وكتلته من خلال تماسك عناصره المشكلة له، لذا فإن له بنية دلالية تتكون من عنصر الوحدة أو الكلية فيه، ومن طابع الكونية أو العالم الخاص، وهي بنية تُهيأ من طرف المجموعات الجماعية، أما الكاتب الفرد فليس له إلا أن يحمل هذه الرؤية الخاصة ليصيغها >> إن التناسق البنيوي منظور إليه هنا كإمكانية دينامية مضمرة داخل المجموعات، أي بنية دلالية يتجه نحوها وجدان وفكر وسلوك الأفراد، ولكنهم لا يصلون إليها تماماً إلا في حالات استثنائية، في حالات متميزة في حين أن موقفهم يلتقي ويتطابق مع موقف الطبقة أو المجموعة، ومثل هذه الحالات تظهر بكثرة في المجالات المبدعة، فالفلاسفة ورجال الأدب أو الفن يصبحون حملة ورواد رؤية العالم الخاصة بالمجموعة <<، لينشأ عن كل ذلك مجموع من الأعمال الإبداعية المتميزة بتناسقها الداخلي بعدد من العلاقات الضرورية بين العناصر المختلفة المشكلة لهذه الأعمال، وكذا بين المضمون والشكل، لذا يتعين على الدارس دراستها في إطار المجموع الذي تشكل جزءاً منه، هذا المجموع الذي يحدد وحدته طبيعتها و دلالتها الموضوعية.

حسب غولدمان فإن النظام الكامن للعمل الإبداعي له وظيفة مزدوجة، >> فهو ينظم وحدة العمل من جانب ويعبر عن رؤية للعالم، عن وعي جماعة اجتماعية من جانب آخر، إن العمل الفني ليس نتاج مؤلف بوصفه فرداً ولكنه يكتشف الوعي الجماعي والمصالح والقيم الاجتماعية لجماعة أو طبقة والأعمال العظيمة وحدها هي التي تعبر باتساقها عن رؤية للعالم ووعي جماعة ما <<. أما تنظيم العمل فهو جعله متسقاً منسجماً، لأن العمل الفني بالنسبة إلى غولدمان عالم كلي منسجم، وأما التعبير عن رؤية للعالم لكون الأعمال الإبداعية العظيمة هي وحدها التي تحتوي على بنية للوعي الجماعي الاجتماعي تظهر " رؤية للعالم " كلية دالة من القيم والمعايير، لذلك فإن البنية الدلالية للنص لا تتضح لدى الدارس إلا إذا تم ربطها بالبنيات الذهنية الكبرى للفئات الاجتماعية والمشكلة بدورها للرؤية للعالم .

إضافة إلى أنّ غولدمان يحدد أساساً لاختيار هذه البنية الدالة وذات الطابع الشمولي أثناء التحليل، يقول: > زد على ذلك أن ما سيحدد اختيار هذه الأخيرة [البنية الدلالية] هو إمكانية الكشف عن وظائفية من النوع المذكور وعلى ذلك فإن دراستها ستتوقف حين يصل الباحث إلى إنجاز كشف للعلاقة الموجودة بين البنية المدروسة والبنية الشاملة وذلك قصد الاطلاع على تكوين البنية الأولى من حيث هي وظيفة للثانية>، فهي لا تختار سوى لقدرتها على التغيير الشمولي للعمل، والذي يخرج به عن نطاق النصية الضيقة، إلى فضاء التفسير المتعدد الجوانب.

تأسيساً على ما سبق يمكن القول إنّ البنية الدلالية ترتبط بمرحلة الفهم حين يتعلق الأمر برصد البنيات اللغوية والعناصر المشكلة للنص، وترتبط بمرحلة التفسير حين يتم ربط تلك العناصر بنيات خارجية أكبر، >حيث إنّ أن تنطلق في تقطيع الموضوع من فكرة أنّ كل واقع إنساني تكون تبعاً لعملية تشكل البنيات وبالتالي فإنّ هذا التقطيع يتعين أن يقدم إمكانية مراعاة الكلية التقريبية للعناصر والعلاقات، إنّ البنيات الذهنية والوجدانية والبنيات السلوكية هي دوماً بنيات تاريخية، يؤثر بعضها على البعض تأثيراً متبادلاً، وتتداخل ضمن بنيات تحتويها وتشملها، والنتيجة أنه لا يوجد أي سبب يدفع إلى التوقف في التحليل عند كتابة ما أو عند نتاج أو عند فردية المؤلف أو حتى عند الوعي الجماعي>. فغولدمان يوصي بتبني منظور واسع أثناء التحليل يقتضي عدم إغفال التحليل الداخلي للنتاج، واندرجاه ضمن البنيات التاريخية والاجتماعية للفئات الاجتماعية إضافة إلى دراسة السيرة الذاتية والحالة النفسية للمبدع كأدوات مساعدة ليقوم المحلل أو الناقد الأدبي في المرحلة الأخيرة بإدخال النتاج في علاقة مع البنيات الأساسية للواقع التاريخي والاجتماعي، ولا تتم عملية التحليل في إطار البنيوية التكوينية إلا عبر مقولتي الفهم والتفسير .

د- الفهم: وهو مرحلة مهمة في الدراسة التكوينية، إذ إنه >> يتعلق بمسألة الترابط الداخلي للنص، حيث يجب التركيز حصرياً على النص ذاته بكل تفاصيله دون الرجوع إلى أي عوامل خارجية، الهدف من ذلك هو اكتشاف البنية الدالة الكامنة فيه، إذ تتجزأ عملية الفهم من خلال الغوص في أعماق النص دون تجاوز حدوده>>. أي أن الفهم يعتمد على تحليل النص من داخله فقط، دون الرجوع إلى عوامل خارجية، كما يكتشف هذه العملية الدلالة التي جعلت النص يحافظ على تماسكه.

ففي هذه المرحلة - الفهم - >> يوجد المحلل اهتمامه إلى دراسة البنى الداخلية للنص، وفقاً للمنهج البنوي الشكلي الذي ينظر إلى النص باعتباره بنية مكتفية بذاتها فلا حاجة للاستعانة بأي (عناصر) عناصر خارجية عن طبيعة النص لفهمه أو تحليله>>.

إن مهمة الفهم >> ترتكز في تسليط الضوء على البنية الفنية التي تشكل الإطار الذي تنظم داخله الدلالات الكامنة في العمل الإبداعي، مع تجنب إدخال أي عناصر أو معاني إضافية لا ينطبع عليها النص الأدبي ذاته>>.

تهدف عملية الفهم هذه إلى وضع النص ضمن إطار من الدراسة يهتم فيه الفهم بتتبع بنية النص ودراسته دراسةً محايدةً. أي أن هذه العملية تركز على دراسة النص من داخله، بتحليل بنيته دون إضافة أي تأثيرات خارجية.

>> إنه عملية فكرية تقوم على الوصف الدقيق والموضوعي للدلالات المنبثقة من النص المدروس دون الخروج عنه قيد أنملة كي يتسنى للباحث في هذه الخطوة استخراج النماذج البنيوية الدلالية المبسطة والأولية ذات العلاقة البنية المحدودة، والدلالة الاجتماعية السارية عبر كامل أوصال النص. بمعنى أن الفهم هو تحليل موضوعي يركز على دلالات النص فقط، لا يخرج عنها، بهدف استخراج البنى الدلالية المرتبطة ببنية الداخلية ودلالته الاجتماعية.

كما يعرفه أنور عبد الحميد الموسى بأنه >> طريقة ذهنية تكمل في الوصف الدقيق ما أمكن لبنية ذات دلالة، أي وصف العلاقات المكونة لبنية دلالية، مع التقيد بالنص بدون تخطي حدوده. بمعنى أن القارئ الناقد يقوم بعملية قرائية ذهنية لبنيات النص والتقيد به، وهذه الطريقة نجدها في القراءة البنيوية التي تعزل النص عن سياقه الخارجي، بحيث يصبح القارئ سجين النص و بنياته الداخلية.

هـ- التفسير: وهو من مرتكزات البنيوية التكوينية، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمرحلة السابقة - الفهم -، حيث >> يعد التفسير في عرف البنيوية التكوينية أعم وأشمل من الفهم، فهو بخلاف المرحلة السابقة يهتم بمقارنة النص من الخارج في ظل المعطيات التي تحكم فكر الجماعة.

فالتفسير >> هو محاولة لإلقاء الضوء على تلك الأبنية المستخلصة سابقاً من خلال مقارنتها مع أحرف بنيات رؤى العالم الموجودة لدى الطبقات القائمة في المجتمع الذي ينتهي إليه المبدع كل ذلك من أجل إثبات مظاهر التطابق أو التماثل بين البنيوتين، وهذا في حد ذاته يكون تفسيراً لسبب ظهور العمل الأدبي بتلك البنية الخاصة التي ظهر بها عند الكاتب.

بمعنى ذلك أن التفسير يركز على مقارنة العمل الأدبي بالبنى الفكرية في المجتمع لفهم سبب ظهور العمل بهذه الطريقة المحددة. فالدراسة محايدة وفق البنيوية التكوينية لا تتم إلا بربط المقولات الذهنية بالبنية النصية التي تشبعت بها. فمن هذا المنظور، ينتقل البحث إلى التفسير بمجرد البدء في دراسة التماسك الداخلي للنص، ومحاولة فهم نموذج البنيوي. فيتعزز الفهم بالتفسير أو التفسير بالفهم بشكل متبادل إذ يجد الباحث نفسه مضطراً للعودة باستمرار للفهم، ثم التفسير أو التفسير ثم الفهم.

تهدف هذه العملية - التفسير - إلى "وضع النص ضمن إطار من الدراسة يهتم فيه التفسير بوضع هذه البنية ضمن البنية الشاملة للمجتمع".

في ختام هذه القراءة النقدية يتبدى لنا النقد البنيوي التكويني عبر طروحاته المنهجية وقد استطاع أن يفك عزلة النص الأدبي وسجن الذات القارئ، ليعيد بناء نقده ضمن إطار اللغة وبنائها التوليدية من جهة والمجتمع وحركة التاريخ من جهة أخرى.